



شعرية الأذهان: مقدمة في بلاغة التنافذ

إسماعيل شكري

جامعة جيزان – المملكة العربية السعودية

choukrismaine@gmail.com

Received: 23 Feb. 2015,

Revised: 17 Mar. 2015, Accepted: 18 Apr. 2015

Published online: 1 (May) 2015

شعرية الأذهان: مقدمة في بلاغة التنافذ

إسماعيل شكري

جامعة جيزان - المملكة العربية السعودية

الملخص

يكشف السياق البلاغي العالمي المعاصر عن تحولات عميقة وسمت الوظائف البلاغية وتوجهاتها الأساس انطلاقاً من تراكم نتائج العلوم المعرفية (اللسانيات، البيولوجيا والذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي....). ذلك أن البلاغة أضحت اليوم بلاغة نحياً بها؛ حيث تتحول، في نظر علماء البلاغة المعرفية، من مجرد محسنات شعرية إلى قوالب معرفية ذهنية ضرورية للتواصل والتفاعل مع العالم، وهذا ما نعتاه بالجهة البلاغية (شكري ٢٠٠٩).

وعليه، نطرح تساؤلين مركزيين:

ما هي الأسس الاستمولوجية للبلاغة المعرفية؟، وبالتالي ما هي تمفصلاتها في علاقة الذهن بالذماغ والعالم؟

أطروحتنا في هذه الدراسة، إذن، هي: تطور البلاغة المعاصرة نحو بلاغة معرفية؛ وأما فرضياتها فتختزلها في كون البلاغة المعرفية حولت مفهوم الشعرية إلى شعرية الأذهان المتنافذة إلى بعضها بعض داخل نسق التفاعلات بين خلايا الدماغ وعمليات الذهن قصد التواصل مع العالم وبناء انسجامه (لا يكوف ١٩٨٧، ١٩٨٨).

الكلمات المفتاحية: الأطر، المقولات، القوالب، الجهة البلاغية، المقصدية، العوالم الممكنة، الصور البلاغية، الشعرية.



The Poetics of Minds: An Introduction to the Rhetoric of Accessibility

Ismail Choukri

University of Jizan - Saudi Arabia

Abstract

When I established the thesis of rhetorical aspect (Choukri, 2009) I provided an introduction to a new general modular rhetoric which interprets the figures in an aspectual and cognitive models.

So, within this cognitive rhetoric that we live by, we can specify poetic modules in order to study accessibility between possible words as the computing knowledge, and with a view to defend the rhetorical interaction of human beings with the environment and the world (Lakoff 1987, 1988).

Hence, how can the poetics of minds define relationships between brain, man and environment all together?

According to the cognitive semantic point of view, the figures are not a special characteristic (distinctive features) of poetry, but they are frames; poetic of minds (Gibbs, JR.R.W, 1994), and they are connected to human experience by categories.

So, the poetics of mind is not a distinctive feature of poetry, but it is a cognitive process that we live by, and it marks all kinds of discourse according to the text producer intentionality.

Keywords: Frames, categories, intentionality, rhetorical aspect, modules, poetic, possible words, figures.

شعرية الأذهان: مقدمة في بلاغة التنافذ

إسماعيل شكري

جامعة جيزان - المملكة العربية السعودية

١. الأطروحة والفرضيات:

إن النظر في السياق البلاغي العالمي المعاصر يكشف عن تحولات عميقة وسمت الوظائف البلاغية وتوجهاتها الأساس انطلاقاً من تراكم نتائج العلوم المعرفية (اللسانيات، البيولوجيا والذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي....). ذلك أن البلاغة أضحت اليوم بلاغة نحياً بها Rhetoric we live by قياساً إلى كتاب هام لكل من لايكوف وجونسون (١٩٨٠) تحت عنوان: الاستعارة التي نحياً بها، live by Metaphore we حيث تتحول البلاغة في نظرهما من مجرد محسنات لغوية شعرية إلى آلية معرفية ذهنية للتواصل والتفاعل مع العالم.

هكذا، أضحت الأنساق البلاغية تلعب دوراً كبيراً في توجيه الرأي العام نحو اتجاه انتخابي معين، أو نحو فضائل حرب معلنة (لايكوف، Lakoff, G., 1992) من خلال تشييد تشاكل عاصفة الصحراء بالنسبة للأمريكيين Desert Storm Isotopy أو تشاكل جرانبي بالنسبة للإنجليز Granby Isotopy، أو تشاكل الاحتكاك كما شيده الكنديون Friction Isotopy الخ... بل إن مجال التربية كذلك، أصبحت ترهن نجاعته بمدى تحقق الديمقراطية البلاغية في مجتمع من المجتمعات؛ حيث يمكن أن تشيع ثقافة الحجاج والإقناع والحوار والتسامح.

ومن ثم، فالبلاغة وفق هذا المنظور، صناعة معرفية بالأساس تساقق إنجاز الخطب السياسية،

والمرافعات في قاعة المحكمة، فضلاً عن تنشيطها للفن والتاريخ والأدب. وهذا يقود طبعاً إلى الاستماع إلى أصوات القادة والنشطاء والكتاب، فضلاً عن أصوات عامة المواطنين.

لقد تطور الدرس البلاغي المعاصر في اتجاه الانفتاح على الظواهر التواصلية بمعناها العام مستفيداً من نتائج اللسانيات والسيماثيات، وعلم النفس المعرفي، وعلوم الإعلام والذكاء الاصطناعي، وذلك قصد الإحاطة بمختلف الظواهر موضوع التفسير والتأويل البلاغيين. وبذلك، تتجه البلاغة إلى دراسة الوظائف المعرفية والاجتماعية لمقولات مثل الجنس والعرق، والدين، والتربية والعلوم والاقتصاد والسياسة الخارجية والثورات، إضافة إلى البحث في الظواهر الثقافية التواصلية مثل الآداب والرسم والسينما والإشهار وما يقتضيه ذلك من تأويل للمضمرات وأنساقها الوظيفية الذهنية.^١

من هنا، تعتبر أطروحتنا ظاهرة التلقي، أنساقاً معرفية وتاريخية يتم تنشيطها بواسطة قوالب بلاغية يوظف من خلالها الإنسان ذهنه وجسمه (لايكوف، ٨٨؛ 87، Lakoff, G.). بيد أن العلاقة بين العمليات البلاغية وعمليات التلقي المعرفية ليس علاقة تراتبية، في نظرنا، بل هناك اتصال من هذه إلى تلك، والعكس صحيح، وهو ما ننعتة بالتنافذ (Accessibility)؛ أي تنافذ الأطر، وتنافذ

١- هوسر (٢٠٠٤)، Hauser، ص ١١-١٢.

٢. الأنساق والاستبدالات:

نفترض، في البدء، أن النظريات البلاغية ونظريات تحليل الخطاب الحديثة شيدت انطلاقاً من هيمنة سياقات ابستمولوجية-معرفية عامة تعد ضرباً من الحوار النسقي بين العلوم الحقة من جهة، والأدب والفن من جهة أخرى، ناهيك عن كون هذا الحوار بين الأنساق المعرفية والعلمية والفنية هو أيضاً أجوبة مضمرة أو معلنّة عن أسئلة العصر السياسية والاجتماعية والثقافية.

لذلك أفضل، استراتيجياً، توظيف عبارة: الاستبدالات ابستمولوجية المؤسسة للنظريات البلاغية الحديثة حيث تتداخل معارف علمية واجتماعية وثقافية وغيرها في شكل أنساق متنافذة يؤثر بعضها في بعض.

لقد هيمنت استبدالات معرفية مختلفة على الناتج الإنساني الحديث، يمكن تصنيفها في ثلاثة أنساق كبرى؛ حيث يحوي كل نسق استبدالات متعددة، تتشابه وتختلف لكنها ترد إلى النسق الأم كالتالي:

- النسق الأرسطي
- النسق التفكيكي
- النسق التشبيدي

فالنسق الأول (النسق الأرسطي) يهيمن على استبدالات عدة أهمها؛ استبدال الإنسان ظاهرة، واستبدال الإنسان بنية، واستبدال الإنسان علامة، بينما يؤشر النسق الثاني (النسق التفكيكي) على استبدال الإنسان تفكيك، في حين يحوي النسق الثالث (النسق التشبيدي) استبدال الإنسان حاسوب.

لقد تميزت هذه الاستبدالات المعرفية بخصائصها المميزة؛ حيث ساهمت في تشييد استراتيجيات بلاغية انطلاقاً من منظورات ظاهرانية وبنوية-شعرية وسيميائية ومعرفية..

العوامل الممكنة والمتعددة، وتنافذ المقصدات والهويات، وتنافذ الميادين والنماذج المعرفية؛ إذ هو تنافذ إلى بعضها بعض بآليات وقواعد. وبهذا المعنى، تتراكم العوالم، وتتفاعل فيما بينها، بل يسقط بعضها ويحيا الآخر مما يؤشر على أن التنافذ تحكمه مبادئ معرفية عامة مثل: التعيين، والتوازي، والتوزيع، والتعدد، والتواجه.. وغيرها، وقيود بلاغية كونية من قبيل: التمطيط، وتنافذ السمات، والقلب والحذف، والاختزال.. أي مختلف المبادئ المؤطرة لنظرية الجهة البلاغية (Rhetorical Aspect) التي اقترحناها ودافعنا عنها لأهمية الزمن والجهة في تشييد الصور البلاغية، وبالتالي في تناسل العوالم الممكنة (شكري ٩٨، ٩٩، ٢٠٠٩).

وعليه، نطرح سؤالين مركزيين:

ما هي الأسس ابستمولوجية للبلاغة المعرفية؟
وبالتالي ما هي تمفصلاتها في تأويل شعرية الأذهان؟^٢

إن أطروحتنا في هذه الدراسة، هي:

تطور البلاغة المعاصرة نحو بلاغة معرفية، وأما فرضياتها فنختزلها في كونها حولت البحث في الخطاب إلى بحث في الذهن البلاغي بما هو تفاعل بين خلايا الدماغ وعمليات الذهن قصد التواصل مع العالم وبناء انسجامه.

للتحقق من هذه الفرضيات نبحت في محاور استراتيجية، وهي:

- الأسس ابستمولوجية للبلاغة المعرفية: الأنساق والاستبدالات

- شعرية الذهن: الأطر والمقولات..

- قوالب تأويل الخطاب..

٢- راجع:

Gibbs, JR. R.W. (1994), The Poetics of Mind, Cambridge University Press, Cambridge .PP.30_55

جوهرًا. وبذلك، يتميز الذهن بالفكر، أما الجسد فماهيته هي الامتداد، Extension وإذا كان الجزء المادي من العالم قابلاً للتلاشي بخلاف الفكر، يصبح الوجود نفسه مرهوناً بالوعي الإنساني.

انطلاقاً من هذا التصور القائم على نقاء الهويات، تم القفز على علاقات التفاعل والتنافذ بين الجسد والذهن من جهة، وبين كل منهما والعالم الخارجي من جهة ثانية^٢.

إذن، العقل الأرسطي الوضعي وما يدور في فلكه من تصورات ظاهرية اجتماعية، وبنوية وسيميائية شكلية يناظر إلى حد بعيد المعرفة الموضوعية Objectivist Cognition التي تعتبر الفكر الإنساني استعمالاً لرموز مجردة اعتباطية ليس لها أي معنى في ذاتها، بل تكتسب هذا المعنى بارتباطها مع أشياء في العالم.

هكذا، بقدر ما هيمن النسق الفلسفي الأرسطي، بشكل مضمّر أو معلن، على فكر الأنوار وما تلاه من ثورات في نظريات الأدب والفن، بقدر ما برزت الحاجة الملحة معرفياً واجتماعياً لتجاوز هيمنة هذا النسق الممثل لاستعارات القطب الوحيد لكونه انشغل بالبحث في الجواهر والثابت واليقيني.

فكيف تمت الثورة على النسق الأرسطي؟ وما مدى تأثير هذه الثورة على النظريات البلاغية، وبالتالي على بروز أطروحة: شعرية الأذهان؟

في هذا السياق نتوقف عند نسقين اثنين: النسق التفكيكي والنسق التشييدي. /Déconstructivisme/ Constructivisme ذلك أن البحث في تناقض بعضهما إلى بعض يقود إلى استخلاص نسق ثالث هو: نسق التشييدية النسبية.

- يعتبر النسق التفكيكي نقداً للعقل الأرسطي وللعقل الديكارتي نفسه رغم كون الفلسفة الديكارتيّة قدمت نفسها بديلاً عن البديهيات الأرسطية. فالتفكيك يقوم على أساس موت المؤلف

٢- انظر أصول هذا التصور في ثنائيات أرسطو لتعريف الاستعارة، فن الشعر، تحقيق وترجمة شكري محمد عياد، ص ١١٦.

لكنها، مع ذلك، حافظت على منافذ للتفاعل فيما بينها؛ حيث إن أنساق القطائع والاستمرارية المتزامنة واردة كذلك.

بيد أن البحث في مقومات تلك الأسس المعرفية، وهو ما يهمنا في هذا السياق، يقودنا إلى ربطها بالإشكالية الكبرى الآتية:

كيف تؤسم العلاقة بين الجسد والفكر؟

لقد تميز الفكر الإنساني الحديث بهيمنة النسق الأرسطي خاصة في «المرحلة التنويرية» وما سبقها من إرهافات؛ حيث سجل المفكرون المنتقدون للوضعية الأرسطية أمثال ميريل: ١٩٨٥، إيكو: ١٩٨٥، مفتاح: ١٩٩٠، وسورل: ٢٠٠٤، وغيرهم.. أن معظم التصورات الشائعة حول الظواهر الذهنية والدلالية ترتبط بمقولات أرسطية موروثية تضع حدوداً فاصلة وقطعية بين عالمي الفكر والجسد، ناهيك عن كونها تتجاهل أهمية السياق والمساق والموسوعة، والعرضي والإيحائي لأن اللغة البشرية ليست مجرد تقسيمات وتحديدات جاهزة صارمة.

وقد نتج عن هيمنة النسق الأرسطي تجاهل مفاهيم مثل الدينامية والتفاعل والمقصدية والعوامل الممكنة، والتي تعتبر وفق العلوم المعرفية المعاصرة، تمثيلات معرفية تتداخل فيها عوامل الوراثة البيولوجية والمحيط على السواء، بل إن المعرفة بدورها عوامل أو وقائع متعددة.

هكذا، فتأثير تلك المقولات الأرسطية الخاصة بالجسد والفكر بلغ مداها في التأثير على الإرث اللغوي والبلاغي والنقدي العالمي، أي على معظم الاستبدالات المعرفية بما في ذلك مبادئ الثنائيات البنوية، والدلالة-المركز، وتشريح المقومات إلى عامة وخاصة الخ...، بل تسرب هذا التأثير قبل ذلك إلى فلسفة العقل عند ديكارت ذاته؛ حيث إن العالم، في نظره، نوعان من الجواهر؛ جواهر ذهنية/جواهر مادية، وبالتالي تستلزم ثنائية الجواهر هذه، وهو تصور أرسطي في الأصل، أن يكون لكل جوهر سمات أو خصائص تميزه بوصفه

٣. شعرية الذهن:

يتمثل الأساس المعرفي للذهن الشعري؛ أولاً في مدخرات الإنسان المقولية؛ أي الأنساق الثقافية والأنتروبولوجية باعتبارها حصيلته تفاعله مع العالم الخارجي، ذلك أن آلية الإطناب Redondance، مثلاً، قبل أن تمعجم في اللغة بواسطة الأساس اللغوي (أو ما يسمى في الذكاء الاصطناعي بالعبارة النسبية؛ Relative Addressing) نجد لها عنواناً أو عناوين في العالم الحسي- التجريبي للإنسان. لقد أكد غورهان منذ سنة ١٩٦٥ على القول بأن الفعل الإنساني أقل إبداعاً للآلة، لكنه أكثر إبداعاً للزمان والفضاء الإنسانيين، الشيء الذي يفسر ملاءمة المنازل الأولى للتقديمات الإيقاعية؛ إذ يمثل هذا التدجين الرمزي- التخيلي انتقالاً من الإيقاعية الطبيعية للفصول والأيام ومسافات المشي إلى إيقاعية مشروطة منظمة داخل الرموز الميقاعية والمترية.

من هنا، فالنسق الإيقاعي الدائري بوصفه خطأ مغلقاً على نفسه، يحيل على تصورات العود الأبدي الموجودة منذ أقدم الحضارات الشرقية أو اليونانية. كما أن الاستعارات دفعت بالإنسان إلى مقارنة حياته (ولادة- كهولة، شيخوخة) بالدائرة الشمسية اليومية (فجر، ظهيرة، مساء... الخ) أو بالدائرة السنوية للفصول.

ولعل التفسير المعرفي-الدلالي لهذا الوعي الثقافي نجده في مفهومي المقولة والتأطير (Categorisation and Schematization) لدى المدافعين عن المعرفة التجريبية، (أمثال لايكوف ٨٧ و٨٨)، الذين ينظرون إلى المعنى باعتباره إسقاطاً تخيلياً يستخدم إواليات التأطير والمقولة بما فيها الاستعارة والكناية وغيرها...

كما نجد جيبس في كتابه: شعريات الذهن Gibbs, JR. R.W. (1994), The Poetics of Mind يؤكد على الخاصية القالبية لشعرية اللغة، بحيث نمتلك قدرات يمكن تحيينها سياقياً في شكل نسق شعري، والدليل على ذلك ما نجده من صور

وانتفاء المقصدية، وإلغاء المركز، كما أن اللعب الحر بالمدلولات والتفسيرات اللانهائية والتشظي والتناص اللامحدود وسقوط السياق... هي من أهم قيود هذا النسق التفكيكي العام.

وعلى هذا الأساس، نلاحظ أن هناك ترادفاً بين التفكيك وما بعد الحداثة Postmodernisme بوصفهما فكراً مناقضاً للعقلانية وللكتليات.

- بيد أن النسق التشبيدي النسبي (الممثل بالعلوم المعرفية، والبلاغة العامة الدينامية والسيميائيات الثقافية وغيرها) يخالف هذه الاستراتيجية التفكيكية العدمية، كما أنه يتجاوز الخلفيات الفلسفية الأرسطية ونتائجها المعرفية التي هيمنت على الفكر البلاغي والنقدي سواء أعلق الأمر باستبدال نظرية الانعكاس، أم بالاستبدال البنيوي والسيميائي، أم بالاستبدال الظاهراتي والوجودي... ذلك أن التراتبية والثنائية غير الجدلية هي من أهم مخلفات الوضعية القديمة/الحديثة التي ميزت مفاهيم من قبيل الجنس/النوع، حقيقة/مجاز، واقع/خيال، جسد/عقل، جواهر مادية/جواهر عقلية... الخ.

من ثم، نعتبر العلوم المعرفية النسبية أفقا تجريبانياً لتجاوز الفكر الموضوعياني الذي حصر تأويل الكلمات في تحليل ذري يقصي الأبعاد التداولية والإيحائية والمعرفية. ذلك أن هذا الأفق المعرفي الجديد يسمح بتصوير تشبيدي يجعل من الحقيقة مؤولات، ومن الواقع واقعا ذهنياً للمتكلم (المقولات والأطر)، ومن الوحدات الدلالية نماذج معرفية أو موسوعية، وليست مجرد مقومات مرجعية، ناهيك عن كونه يعترف بدور الجسد والتجربة في بناء الأطر المعرفية للإنسان.

إذن من نتائج هذا النسق الفلسفي التشبيدي النسبي، الذي لا هو بتفكيك مطلق، ولا هو بتشبيد مطلق، ظهور نظريات بلاغية معرفية تمد الفكر النقدي العالمي بمقولة: الشعرية ذهن أوالذهن شعرية.

لاشك إذن، وانطلاقاً من هذا التصور المعرفي، أن مفهوم الانزياح في النظرية الشعرية عند كوهن (١٩٦٦ و ١٩٧٠) يبقى عديم الكفاية العلمية والوصفية. فقد تعرض إلى مجموعة من الانتقادات من طرف بعض رواد الشعرية والأسلوبية أنفسهم. ذلك أن تودروف، مثلاً، يرى عدم مصداقية تحديد الشعر عن طريق مقابلته بالنثر، لأنهما يملكان نصيباً مشتركاً، هو الأدب، كما أن البحث عن معيار، يمثل صعوبة في ذاته، خاصة إزاء المنحى البلاغي العام للبلاغة الغربية والعربية الذي يؤكد توافر اللغة العادية على الصور البلاغية. كما أن تزايد الاهتمام في الدراسات النقدية الحديثة بالمقاربات اللسانية، مؤشراً قوياً على افتقار هذا المفهوم إلى البعد الإجرائي، وعلى ضرورة وضع نظرية الأدب في إطار النظرية البلاغية العامة. وهذا ما ينسجم ومباحث علم النفس المعرفي وعلم النفس اللساني التي تنصير للبعد المعرفي بدلاً عن البعد الجمالي لتلك الصور؛ كالاستعارة والكناية والحكي.. ولعل في الإسقاطات الدلالية الممكنة لعبارات من قبيل: أشرفت الشمس وكتب الضابط ينبح.. حيث يمكن الاختيار بين تنشيط المشابهة أو المجاورة أو التقريرية، خير دليل على تهافت نظرية الانزياح.

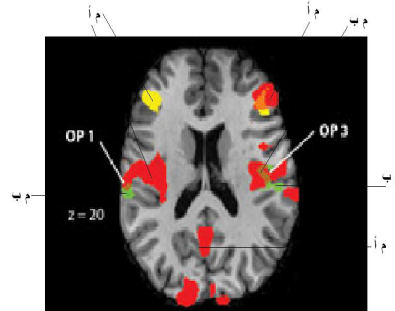
وبذلك، يمكن أن نستخلص المبدأ الأساس الآتي: لا توجد عبارة شعرية وأخرى غير شعرية؛ بل إن مقصديات المتخاطبين وسياق تمفصل خطابهم هو الذي يحين الذهن الشعري الذي قاربناه آنفاً.. ومن مؤشرات صحة هذا الافتراض: شعرية بعض الكتابات الزجلية التقريرية والقصائد النثرية التي تحين شعريتها فقط بمقصدية التلحين الموسيقي أو بمقصدية التأويل إلى الشعرية..

بيد أن السؤال الملح هنا هو: إذا كانت الشعرية نسقاً معمارياً ذهنياً فما الذي يميز الشعراء عن غيرهم؟

تبدو الإجابة على هذا السؤال انطلاقاً من نتائج الدراسات الخاصة بقالبية الذهن

٤- راجع شكري ٢٠٠٩، الفصل الثالث.

بلاغية لدى الأطفال، وفي اللغة اليومية بشكل عام لأن تلك الشعرية هي من خصائص معمار الذهن البشري؛ وهذا توضحه مواقع الاستعارة في باحات الدماغ في الشكل الآتي:



توزيع معالجة الاستعارة على قشرة الدماغ:

لقد أثبتت الأبحاث المعرفية العصبية ومنها دراسات لاسي وستيلا وساتيان (٢٠١٢) أن مناطق عديدة في الدماغ مسؤولة عن تنشيط الاستعارة وليس منطقة واحدة، انطلاقاً من أن التجربة الحسية التي ركز عليها لايكوف وجونسون (١٩٨٠) في تشييد الاستعارة تنشط مناطق موزعة في الدماغ.

فإذا حصلت تجربة اللمس لنسيج ما (لمسك للصخر مثلاً) نشطت مناطق موزعة في مختلف لحاءات القشرة الدماغية والتي أشرنا إليها في الصورة أعلاه: م أ،

بينما تجربة سماع أو رؤية الاستعارات المرتكزة أيضاً على حاسة اللمس كقولك: الحياة صلبة، تطلق ردود أفعال الخلايا العصبية في الدماغ قصد معالجتها من خلال إثارة مناطق بعينها، لكنها موزعة أيضاً على مختلف أنحاء اللحاء. وهو ما أشرنا إليه في الصورة ب: م ب، مما يعني أن أبحاث الفيزيولوجيا العصبية الجديدة تسلط الضوء على دور الشبكات العصبية في إنتاج القدرات-القوالب، بدلاً من منطقة واحدة في الدماغ، كما أنها تدافع عن أطروحة متقدمة، وهي: لا توجد في الدماغ منطقة واحدة مسؤولة عن عمليات معالجة الاستعارة.

بنموذج متعدد القوالب يفسر ويؤول الظاهرة الواحدة في مستويات مختلفة. ومن ثم، يمكن الحديث عن ملكة بلاغية تمثل نسقا ذهنيا متفاعلا مع مختلف الملكات. وهذا يعني إسناد مجموعة من القيود الداخلية للبنية الذهنية (فودور؛ ١٩٨٢) التي تمثل، بالنسبة لنموذج الجهة البلاغية (شكري؛ ٩٧، و٢٠٠٩)، حدود المعرفة البلاغية. فالقوالب، بوصفها ملكات عمودية، تمثل إواليات حاسوبية خاصة بمجال معين، بالنظر إلى كونها أنساقا معرفية فطرية وموحوجة (cloisonnés)؛^٥ مستقلة نسبيا ومتفاعلة فيما بينها.

وعليه، تقتضي قابلية الأنساق مجموعة من الخصائص؛ منها خصوصية المجال التي تؤثر على تمايز الملكات إذ ((يمكن أن نفترض، فيما يخص البصر، آليات لإدراك الألوان، وتحليل الأشكال، وتحليل العلاقات الفضائية الثلاثية الأبعاد... إلخ؛ وأن نفترض فيما يخص السمع، آليات تسند إلى الأقوال أوصافا نحوية، أو تكشف عن البنية النغمية أو الإيقاعية للتنظيمات السمعية... إلخ))^٦.

وتتميز العمليات القالبية، كذلك، بخاصية الإلزامية التي تجعلها ضرورية، وبالمحدودية والسرعة وغيرها. وبذلك، ترتبط تلك العمليات، لكونها أنساقا لمعالجة المعلومات، بتفاعل الذات مع المحيط في سياق تنشيط ملكات مستقلة جزئيا، وخاصة؛ هي القوالب المعرفية.

إن اقتراح المتوكل (١٩٩٥) المتعلق بإضافة القالب الشعري الذي يتفاعل مع باقي القوالب لتفسير الظواهر الأدبية في الخطاب، يجد صداه في نموذجنا البلاغي بوصفه مجموعة من القوالب الأصلية والفرعية التي تؤول الصور البلاغية تأويلا معرفيا نمثله بالمقاربة الجزئية الآتية:

يوسم النموذج الذهني الشعري، لأهميته العلمية القصوى بهيمنة مبادئ معرفية نذكر منها:

٥- فودور(١٩٨٢) الطبعة الفرنسية ١٩٨٦ ص.١٥٥.

٦- غاليم (١٩٩٧)، ص.٥٧.

Mind والتي تركز على أهمية الملكات-القدرات العمودية Les facultés Verticales التي تسم خارطة الذهن البشري بالوظيفية (فودور١٩٨٢) بخلاف الملكات الأفقية Les Facultés Horizontales من قبيل الذاكرة والخيال والحكم والانتباه، فهي كما أكد ذلك غال Gall 1758/1828 نسق معرفي تعميمي، بل هي «مجرد خيال» ولا يمكن رصد مستوياتها. وعليه، يجب البحث في تلك القدرات العقلية العمودية التي تمثل قوالب خاصة في مجال معرفي خاص يمكن تتبع مهاراته في الواقع، مثل الملكة الشعرية-البلاغية التي تتفرع إلى ملكات أو قدرات فرعية من قبيل قدرة البناء الرمزي أو قدرة المشابهة.. الخ.

ثم إن هذه الدراسات تحيل على مبدأ معرفي هام هو: التحيين أو التنشيط؛ أي تنشيط القدرات في سياق تفاعل الذهن والدماغ والمحيط. وبمعنى آخر تتدخل عوامل الوراثة البيولوجية والمحيط لتجعل هذا الفرد شاعرا بالقوة، ومن الآخر شاعرا بالفعل.

غير أن الخصائص المميزة واردة من شاعر لآخر حيث يختلف الشعراء في مدى استثمارهم للمكاثم الشعرية، أي في مدى استثمارهم لما أصطلح عليه بالكثافة البلاغية التي تسم الذهن البلاغي لدى الشعراء والأدباء بصفة عامة.

ومن ثم، يمكن بناء نموذج بلاغي معرفي في شكل قوالب شعرية غير تراتبية.

٤. القوالب الشعرية :

نحدد لكل قالب بلاغي؛ أي القالب الفضائي والقالب الصوتي والقالب الدلالي، المبادئ المهيمنة ونصره إلى قوالب فرعية تمثل مختلف المذخرات التي تم تخزينها في الذهن الشعري بناء على ثلاثة أسس هي الأساس الفلسفي-المعرفي والأساس اللغوي والأساس البلاغي.

هكذا يطمح التصور البلاغي القالبي الذي نقترحه إلى تجاوز التصورات الأحادية وتعويضها

إلى التناقض، كما أن التصحيح وإعادة التقدير تعتمد على الإسقاط الدلالي لمقومات "الإصباح" على الوحدة الدلالية "ليلك". وهذا يعني استدعاء القالب الفرعي للقالب الدلالي وهو القالب المعرف-تداولي الذي يضع الملفوظ في سياق مناسب للإسقاط من قبيل سياق الغزل أو سياق المدح أو سياق الضحك... وهو ما يؤدي إلى فحص مقولة الليل التي خصصت بضمير المخاطب، في نفس القالب، بحيث إن مفهوم الليل عند العاشقين، مثلا، ليس هو نفسه عند اليائسين أو السجناء... فلتجربة الأفراد دور حاسم في تحديد المقولات بل وفي تغيير بعض أو كل مظاهر النماذج المعرفية المؤتملة. وبذلك، نلاحظ أن القالب الدلالي في الملفوظ السابق يمارس، أكثر من غيره، الجذب على المكونات الجشعة التي يمكن فحصها وهي: التشاكل والتداول والمقولة. وهذا يقتضي أن تشغيل القالب الصوتي أو الفضائي بالنسبة للمناقضة موضوع الفحص Checking.

ينتج عنه اشتقاق مختل Crash derivation لأن الوحدتين المعجميتين ليلك وإصباح تتوفران على سمات ضعيفة Weak features بالنسبة للتشاكل الصوتي الذي يمكن من بناء إحدى الجهات البلاغية في القالب الصوتي، بينما تتوفران على مقومات قوية لبناء التشاكل الدلالي. بيد أن ملفوظات أخرى يمكن أن تستدعي جميع القوالب الثلاثة لتوفر وحداتها الصوتية والدلالية والفضائية على سمات ومقومات قوية Strong features.

تجعلها في حاجة إلى تلبية جشعها في الجهات البلاغية المختلفة^٧. وبذلك، يتم الانتقال من قالب محوري إلى آخر بواسطة منفذ أو منافذ من قبيل الكلمة-المحور، أو القلب الصوتي وغيرهما لتسوية عملية الإسقاط وبالتالي قصد بناء التأويل محليا أي انطلاقا من موجهات النص ذاته.

٧- بخصوص المصطلحات: الفحص والجشع والتأويل والاشتقاق المختل...، راجع تشومسكي (١٩٩٥) في إطار البرنامج الأدنى the Minimalist Programm

١ - بناء القوالب بناء تفاعليا لتجاوز مفهوم المستويات التراتبية الشائعة في التحليل البنيوي
٢ - لكل قالب مبادئ مهيمنة وقوانين خاصة لاشتغاله
٣ - يمكن دراسة الظاهرة البلاغية الواحدة بأكثر من قالب واحد

من ثم، نترجم تفاعل القوالب الشعرية بواسطة مبدأ المرأة (بيكر ١٩٨٥)، لأن القول بالتفاعل ينسجم وانعكاس بعضها على بعض انطلاقا من منافذ (Issues) محورية:

القالب الدلالي	منافذ الصوتي	القالب الفضائي	منافذ الفضائي
-------------------	-----------------	-------------------	------------------

إن حصر القوالب الشعرية الذهنية في ثلاثة قوالب فقط، يراد به الحد من تشتت مستويات التحليل التي نجدها في دراسات الشعرية البنيوية على الخصوص. ذلك أن هذه القوالب (القالب الدلالي والقالب الصوتي والقالب الفضائي) من شأنها أن تمارس الجذب، تبعا لمبدأ الجشع (Greed Principle، تشومسكي ١٩٩٥)، بالنسبة لمستويات التداول والمعجم والتركييب التي تفحص في القالب الدلالي، وبالنسبة للمكون الصراحي والصواتي للذين يفحصان في القالب الصوتي، وبالنسبة للمكون البصري - النسيج الذي يلبي جشعه في القالب الفضائي.

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن للملفوظ الشعري البلاغي أن يشغل قوالب ويعطل أخرى خاصة أن كل قالب يتفرع إلى قوالب فرعية.

لنحلل، على سبيل المثال، الملفوظ - المناقضة الآتية:

ليلك إصباح

إن الظاهرة - الجهة التي تجذب التأويل في هذه المناقضة هي الجهة الفوضوية، لكن القالب الذي نشغله هو القالب الدلالي دون القالبين الصوتي والفضائي، لأن المناقضة يستند فيها التضاد دلاليا

٥. تركيب:

تلك، إذن، مقدمة في التناقد المعرفي؛ حيث تتفاعل الأنساق اللغوية والبلاغية والمعرفية لتيسير تواصل الفرد مع العالم. ومن ثم، تسم الشعرية معمار الذهن البشري بالمرونة والمطاوعة قصد تأويل مجهول الأكوان قياساً إلى معلومها؛ فتصير المنافذ آليات ذهنية محوسبة تيسر الانتقال من قالب إلى آخر دون أي اعتبار للتراتبية وللثنائيات الأرسطية التي تضع حدوداً فاصلة بين تناقض عوالم ثلاثة، هي: الجسد والذهن والمحيط.

إن من شأن أطروحتنا هذه أن تخلص إلى نتائج هامة بشأن قابلية الأنساق البلاغية ووظائفها؛ حيث إن التناقض المعرفي المتعدد، التوسعي والموزع، والذي يساهم في تناسل الأكوان، وفي تشييد معالم المجهول فيها، يؤشر على تناقضها إلى بعضها بعض في سياق دينامية مجتمع الذهن الذي يوسم بتمايز القوالب، وانفراد كل منها بهوية خاصة، بيد أنها تتربط فيما بينها بنسق دينامي أكبر يجذب الهويات والحدود إلى شبكة التواصل والتفاعل. وهو ما نجده في الواقع الإنساني من خلال الكليات الإنسانية المشتركة، ومظاهر التناقض رغم نزوع المصالح الطارئة والتمغيرة إلى التصادم والصراع. فالعقدة، والتركيبية، والتعدد، والتواجه، والتوازي والتوزيع والتشاكل والجهة البلاغية.. هي أنساق للتناقض تجعل الإنسان يتمثل المضمرة في الناتج الإنساني بواسطة قواعد معرفية وبلاغية؛ فتتوالد معاني الانسجام وتفتي التجارب البشرية عبر التاريخ. وبذلك، فالسيرورات الدينامية للدماغ البشري تبني تشاكل العالم المتميز، حيث أثبتت الأبحاث الخاصة بالدينامية اللاخطية للدماغ أن الإدراك لا ينحصر نشاطه في استقبال المعلومة والخبز والتذكر فحسب، بل إنه خلق مستمر للمعنى، تبعاً لتغيرات الاشتباك العصبي المستندة إلى تجارب الفرد في العالم.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٨٨). ملاحظات حول الكتابة اللسانية، في اللسانيات واللسانيات العربية، إشراف السغوشي وعبد القادر الفاسي الفهري، عيون المقالات، الدار البيضاء.

الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٨٨). إشكال الرتبة وباب الاشتغال، في اللسانيات واللسانيات العربية، عيون المقالات، الدار البيضاء.

الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٩٠). البناء الموزاي، دار توبقال، الدار البيضاء.

شكري، إسماعيل (١٩٩٨). تعيين التغير وتعيين المقصدية، في مجلة دراسات مغربية، ع.٧، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء.

شكري، إسماعيل (١٩٩٩). نقد مفهوم الانزياح، في مجلة فكر ونقد، ع.٢٣، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.

شكري، إسماعيل (٢٠٠٩). في معرفة الخطاب الشعري؛ دلالة الزمان وبلاغة الجهة، دار توبقال، الدار البيضاء.

غاليم، محمد (١٩٨٧). التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال، الدار البيضاء.

غاليم، محمد (١٩٩٧). في التصور القالبي، في مجلة أبحاث لسانية، ع.٢، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعبير، الرباط.

التوكاني، نعيمة، (١٩٨٩). خصائص المشتقات الجهية، د. الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط.



- Encyclopédie Philosophique Universelle,
Les Notions Philosophiques, Editée
Par Jacob, A., Vol. 1, P U F, Paris,
1990.
- Fabian, J. (1983), *Time And The
Other*, Columbia University Press,
Newyork.
- Fauconnier, G. (1984), *Espaces
Mentaux*, Minuit, Paris.
- Fodor, J. A. (1986), *La Modularité De
L'esprit*, Tra. Par Gerschenfeld, A.
Minuit, Paris, Copyright Original
1983.
- Fontanier, P. (1977), *Les Figures Du
Discours*, Flammarion, Paris.
- Francès, R. (1963), *La Perception*, P U
F, Paris.
- Lakoff, G. (1987), *Women, Fire, And
Dangerous Things*, University
Of Chicago Press, Chicago And
London.
- Lakoff, G. (1988), *Cognitive
Semantics*, In: Eco, U. And Violi,
P. (eds) *Meaning And Mental
Representations*, Indiana University
Press.
- المراجع الأجنبية:
- JR. R.W (1994), *Poetics of Mind*,
Cambridge University Press Gibbs.
- Chomsky, N. (1987), *La Nouvelle
Syntaxe Concepts Et Conséquences
De La Théorie Du Gouvernement
Et Du Liage*, Tra.Par Lélia Picabia,
Seuil, Paris, Copyright Original
1982.
- Chomsky, N. (1995), *The Minimalist
Programm*, The M.I.T Press,
Cambridge, Mass.
- Eco, U. (1972), *La Structure Absente*,
Tra.De L'italien Par Esposito,
Torrigiani, U. Mercure De France,
Paris.
- Eco, U. (1979), *A Theory of Semiotics*,
Indiana University Press,
Bloomington, London.
- Eco, U.(1985), *Le Temps de L'Art*, Dans:
Baudson, M.Et Michel, A.(eds),
L'art Et Le Temps, I.B.M.Europe,
Bruxelles.
- Eco, U. (1992), *La Production Des
Signes*, Librairie Générale Française,
Paris.
- Eliblanchard, M. (1980), *Description:
Sign, Self, Desire*, Mouton
Publishers..